

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار

بقلم

الدكتور عبد الحليم منصر

الأستاذ بكلية العلوم جامعة عين شمس
والمنتدب مديراً لجامعة الكويت

١ - ابن البيطار

مؤلفات الأغارقة والعرب ومن تجارب المؤلف خاصة .
وثانيهما ، كتاب المغنى في الأدوية المفردة في العقاقير ،
تناول فيه علاج الأعضاء عضواً عضواً بطريقة مختصرة
كى ينتفع به الأطباء . وكان ابن أبى أصيبعة تلميذاً
لابن البيطار ، صحبه في رحلاته وأسفاره للكشف عن
النباتات في منطقة دمشق . ومن عجب أن ابن أبى
أصيبعة لم يعطنا معلومات وافية عن أستاذه ابن
البيطار . وقد عاش ابن البيطار نحو سبعين عاماً ،
وتوفى عام ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) . وقد ترجمت كتبه
إلى اللغات الأجنبية .

٢ - كتابه الجامع

يقول ابن البيطار في مقدمة كتابه الجامع لمفردات
الأدوية والأغذية ، إنه قام بوضع كتابه في الأدوية
المفردة في أربعة أجزاء ، تنفيذاً للأوامر المطاعة
الملكية الصالحة النجمية^(١) ، يذكر فيه ماهياتها ،
وقوامها ومنافعها ، ومضارها ، وإصلاح ضررها ،
والمقدار المستعمل من جرمها أو عصارتها أو طبيخها ،

هو أبو محمد عبدالله بن أحمد ضياء الدين
الأندلسى الملقب العشاب المعروف بابن البيطار ،
إمام النباتين وعلماء الأعشاب ، ولد في الربع الأخير
من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)
من أسرة ابن البيطار في مالقه ، كان من شيوخه في
علم النبات أبو العباس النباتى ، الذى كان يجمع
النباتات من منطقة اشبيلية ، ولما بلغ العشرين من
عمره ، جاب شمال أفريقيا ، ومراكش ، والجزائر ،
وتونس ، لدراسة النبات ، وعندما وصل إلى مصر ،
كان على عرشها الملك الكامل الأيوبي ، التحق بخدمته
فعينه رئيساً على سائر العشابين ، ولما توفى الكامل ،
استبقاه في خدمته ابنه الملك الصالح نجم الدين الذى
كان يقيم في دمشق ، وبدأ ابن البيطار من دمشق
يدرس النباتات في الشام وآسيا الصغرى بصفته طبيباً
عشاباً ، وكتب مؤلفيه اللذين اشتهر بهما ، وهما ثمرة
دراساته العلمية والعملية ، أولهما كتاب الجامع لمفردات
الأدوية والأغذية ، وهو مجموعة من العلاجات البسيطة
المستمدة من النبات والحيوان والمعادن ، جمعت من

(١) يريد الملك الصالح نجم الدين أيوب .

أولاً : في النبات

يقول في نبات « آلوسن » : اسم يوناني أوله ألفان الأولى مهموزة ممدودة والثانية هوائية ، ويسمى حشيشة النجاة ، وحشيشة السالحفة ، نبات ذو ساق واحدة ، وله ورق مستدير ، وله في أصول الورق ثمر في شكل الترس ذو طبقتين فيه بذر صغير ، ينبت في مواضع جبلية وأماكن وعرة ، وينقل عن جالينوس « أنه ينفع من نهشة الكلب الكلب نفعاً عجيباً ، وأنه ينقى الكلتيين ويذهب الكلف من الوجه ، ثم عن « ديمقراطيس » أن هذا النبات يشبه الفراسيون إلا أنه أخشن منه وأكثر شوكة ، وينبغي أن يلتقط هذا الدواء في وقت طلوع الشعري ، ويجفف ويدق ويخزن حتى وقت الحاجة ، ويرد على ما زعم بعض الأندلسيين من أنه الدواء المعروف عندهم بالقارة ، وذلك لمنفعته من عضه الكلب الكلب وليس كما زعم ، بل هو الدواء الذي ذكرته أما القارة فيعرف في اليونانية باسم « سطاخنوس » وينقل عن الغافقي اسم دواء آخر سماه « عشبة السباع » ينفع من عضه الكلب الكلب ، وذكر أيضاً عشبة السباع هي الكراث بغير تشديد ، وليس هو المشدد الذي يؤكل ولا يشاكله .

وتابع ابن البيطار ذكر أسماء الأدوية والنباتات والعقاقير ، فتحدث عن « اطريلال » وأكثر وأرغيس يقول وهو قشر أصل شجرة البرباريس ، وأهل مصر يسمونه عود ريح مغربي ، وأهل ، ويقول زعمت جماعة من الأطباء أنه العرعر وهو خطأ هو صنف من العرعر ، كثير الحب ، وهو شجر كبير له ورق شبيه بورق الطرفاء ، وثمرته حمراء دسمة تشبه النبق في قدرها ولونها ، وما داخله مصرف له نوى ، ولونه أحمر ، إذا نضج ، كان حلواً في المذاق وفيه بعض طعم القطران ، ويجمع في وقت قطاف العنب . ويقول عن « الأترج » كثير بأرض

والبدل منها عند عدمها ، وأنه قد توخى في ذلك تحقيق ستة أهداف ، الأول استيعاب القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام ، والاستمرار عند الاحتياج إليها في ليل كان أو نهار ، يقول وقد استوعبت فيه جميع ما في الخمس المقالات من كتاب الأفضل ديسقوريدوس بنصه ، وكذا فعلت أيضاً بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الست المقالات من مفرداته بنصه . ثم ألحقت بقولها من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية ما لم يذكره ، ووصفت فيها عن ثقات المحدثين وعلماء النباتين ما لم يصفاه ، وأسندت في جميع ذلك الأقوال إلى قائلها ، وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها ، والغرض الثاني : صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين ، فما صح عندي بالملاحظة والنظر ، وثبت لدى ، أدخرته كنزاً سرياً ، وأما ما كان مخالفاً في القوى والكيفية والملاحظة الحسية في المنفعة والماهية ، نبذته ظهرياً ، ولم أحاب في ذلك قدماً لسبقه ، ولا محدثاً اعتمد غيري على صدقه ، والثالث : ترك التكرار إلا فيما تمس الحاجة إليه لزيادة معنى وتبيان ، والرابع : تقريب مأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم ، والخامس : التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط لمتقدم أو متأخر ، لاعتمادى على التجربة والملاحظة ، والسادس : ذكر أسماء الأدوية بسائر اللغات .

ذلك دستور ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، وهو يتضمن صورة صادقة للطريقة العلمية التي اتبعها ابن البيطار في تأليف كتابه ، أنها الاعتماد على الملاحظة والتجربة ، وذكر المصادر التي نقل عنها ، وتحرى الصدق والدقة . وسنعرض فيما يلي نماذج مما تناوله من نبات وحيوان ومعادن .

العرب ، وهو مما يغرس غرساً ، ولا يكون برياً وتبقى شجرته عشرين سنة تحمل ، وحملها مرة واحدة في السنة وورقها مثل ورق الجوز ، وهو طيب الرائحة وتفاحه شبيه بنور الرجس ، وهو ذكي ولشجره شوك شديد . ثم ينقل من خواص الأترج ما قاله ابن سينا ، وابن رضوان واسحق بن سليمان وغيرهم . ويقول عن الأخينوس ، نبات ينبت بقرب الأنهار وبقاع الماء المجتمعة من العيون وله ورق شبيه بورق الباذروج إلا أنه أصغر منه ، وأعلاه مشقق وله عيدان خمسة أو ستة طولها نحو من شبر وزهر أبيض ، وثمر أسود صغير قابض ، وعيدان هذا النبات وورقه مملوءة رطوبة . وعن الأذريون صنف من الأقحوان ، منه ما نواره أصفر ومنه ما نواره أحمر ، ثم آذان الفار البستاني ، وآذان الفار البري وآذان الأرنب .

وينقل عن أبي حنيفة قوله في الأراك . أفضل ما استيك به ، بأصله وفروعه من الشجر وأطيب ما راعته الماشية رائحة لبن ، وهو ذو فروع شائكة ، وثمره في عناقيد ، وتكلم عن الأذخر ، والأسل ، والآس . يقول ينمو بأرض العرب بالسهل والجبل ، وخضرته دائمة ، ويسمو حتى يكون شجراً عظيماً ، وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمره سوداء إذا أينعت ويقول في الأشنة . المعروف بشيبة العجوز ، الجيد منها ما كان أعلى شجر الشربين ، وكانت جبلية ، وبعدها ما يوجد على الجوز ، وأجود من هذه ما كانت أطيب رائحة ، وكانت بيضاء ، وما كان منها لونه إلى السواد فانه أردؤه ، ثم ينقل عن ديسقوريدوس وجالينوس ، وابن سمنون ، واسحق ابن عمران ، وعبدالله بن صالح ، والرازي ، وابن سينا ، ومسيح الدمشقي وغيرهم من أطباء العرب ، ينقل آراءهم في كيفية التداوي بها ، وكيفية صنع الدواء منها . وكذلك تحدث عن الأشخاص والأشنان وقال إنه أجناس كثيرة ، وكلها من الحمض ، والأشنان هو

ولقد تابع ابن البيطار عرضه لمفرداته في الأجزاء الأخرى من كتابه ، مرتباً إياها على أحرف المعجم ، مورداً آراء كل من تقدمه من العلماء ، مضيفاً ما رآه بنفسه فلم يترك كموناً ولا كركماً ولا كراوية كذلك اللبخ واللبلاب واللوف والحلب والمحمودة والمر والنارنج والناردين والهندبا والياسمين واليبروح واليتوع والينبوت وغيره كثير من أنواع النبات .

ثانياً: في الحيوان

تناول ابن البيطار عدداً غير قليل من الحيوانات ، التي يتخذ منها عقاراً أو ينصح بالتداوى بها على نحو من الأنحاء ، فتكلم عن ابن عرس ، و « اثرا » صنف من الطير ، وأرنب برى وأرنب بحرى ، وهو حيوان بحرى صغير صدق إلى الحمرة ، وأسد الأرض وهو الخرباء ويسمى باليونانية « خاماليون » والأفعى ، والأوز والأيل والبط والبقر وتدرج وهو طائر مليح بأرض خراسان والتمساح والتن وهو الخوت والثعلب والجراد وجراد البحر له رأس مربع ما هو ، وله فيما يلي رأسه صدف خزفي وبعضه لا خزف عليه ، ولها من كلا الجانبين عشر أيد طوال شبيهة بالعناكب إلا أنها كبار جداً ، ولها قرنان دقيقان قائمان ، ولها في مواضع شواربها قرنان دقيقان وغيتان بارزتان متدليتان من رأسها .

والجمل ، وقال عن « الحباحب » إنه حيوان له جناحان كالذباب يضيء بالليل كأنه نار ، والخبارى طائر كبير العنق رمادى اللون ، في متقاره بعض الطول وهو مشهور ، لحمه بين لحم الدجاج والبط والخبرج وهو طائر معروف في الديار المصرية مشهور بها وقال عن الحداة ، طائر معروف كالبازي يأوى إلى المدن والعمارات . والحردون قريب من طبع الورل . والحرجول نوع من الجراد ، والخرباء والحلزون والحلم وهو القراد ، والخراطين وهي الديدان التي

البشني يكون بمصر ، ينبت في الماء إذا أطبق النيل على أرض مصر وله أصل يشبه السفرجلة ، ويؤكل نيئاً ومطبوخاً ، وطعمه مطبوخاً يشبه صفرة البيض ، نباته نبات النيلوفر . كما أورد البطم وقال هي الحبة الخضراء ، تنبت بالجبال وعلى الحجارة والشجرة عيدانها خضر إلى السواد وحبا أخضر ، وفي لحائها وورقها وثمرها شيء قابض . وقال عن البلسان إنه شجر لا يعرف نباته اليوم بغير مصر خاصة في الموضوع المعروف منها بعين شمس ، عظم شجرته مثل عظم شجرة الحبة الخضراء ، وله ورق شبيه بورق السذاب ، غير أنه أشد بياضاً ، وأدور ورقاً . ويقول عن الثلثان هو عنب الثعلب ، وعن الثمام ، معروف بالديار المصرية ، وهو المرعى ، وهيئة ورقه على هيئة ورق الزرع^(١) وقضبانه ذات كعوب ككعوب قصب الزرع ، إلا أنها مصمته وهي أرق وأطول وورقه كذلك ، وهو ينبت متدوجاً ، وأصوله لحمية متشعبة ، ويخرج سنابل على شكل سنابل الدخن البرى ، وطعمه كله حلو ، وسنابله مسودة . وكذلك وصف الثوم والثيل والجاوشير والجلنار ، والجلبان وجوزبوا وهو جوز الطيب ، في قدر العفص سهل الكسر ، رقيق القشر ، طيب الرائحة .

وفي الجزء الثاني من كتاب الجامع ، عالج ابن البيطار مئات أخرى من أنواع النبات والحيوان والمعادن مما يتطبب به ، فتكلم عن حب الزلم ، وحب الملوك ، وحب الرشاد ، وحب القلب ، وحب الفلفل الحلق ، والحرملة والحزنبل والمسك والحضض والحلبة والحلتيت والحماض والحنظل والهندقوق والخس والخروع والخشخاش والخلاف والخلنجان وخيار شنبز والدارصيني والدقلى ، والراوند والبرق والرازيانج والرتم والريساس والزقوم والزنجبيل والزيفون .

(١) يريد القمح .

الحجل والقنفذ والقنبرة والكركي والماعز والنسر
والنعام والتمل والنمر والورل والهدد ويربوع .

ثالثاً : في المعادن

وكذلك أورد ابن البيطار في جامعه عدداً من
المعادن والأحجار التي يتداوى بها أو تدخل في تركيب
الأدوية ، فذكر الآبار ، وهو الرصاص الأسود ،
يقول وزعم بعضهم أنه إذا أحرق سمي كذلك . وقال
عن الأئمة حجر يخالطه الرصاص ، ويروي عن
اسحق بن عمران هو حجر الكحل الأسود ، يوثق به من
أصفهان ومن جهة المغرب وهو حجر أسود صلب ،
ملمع براق كحلي اللون « وارتكان » حجارة صغار
صفر رخمة إذا أحرقت أحمرت واكتمكت ويسمى
حجر النسر قال أنه نافع لعسر الولادة ، والبورق ، يقول
أنواعه مختلفة ، ومعادنه كثيرة كعادن الملح ، منه
ما يكون أحمر وأبيض وأخضر وألوان كثيرة والنظرون
وإن كان من جنس البورق ، فإن له أفاعيل غير
أفاعيل البورق ، منه أرمني ومصرى ، والتوتيا ثلاثة
أجناس منها بيضاء ، ومنها إلى الخضرة ومنها إلى الصفرة
مشرب بحمرة ومعادنها على سواحل بحر الهند ،
وأجودها البيضاء ، والجبس والجزع وهو حجر
معروف وهو صنفان يمانى وصينى ، وجمشت ،
حجر بنفسجى ، صبغه مركب من حمرة وردية
وسماوية - وحجر يهودى ولعله يزيد زيتون بنى
اسرائيل وهو حجر بفلسطين شبيه في شكله بالبلوط
أبيض خشن الشكل جداً فيه خطوط متوازية كأنها
خطت بالبيكار (يزيد الفرجار) ، وهو حجر يناع
بالماء لا طعم له ، يفتت الحصاة المتولدة في المثانة ،
وقد ذلت البحوث الحديثة على أنه حيوان متحجر من
عصور جيولوجية قديمة وأن به نسبة من أملاح ثاني
الكربونات والسترات ، تدر البول والحديد قال
ويستعمل في مداواة الأمراض على ضروب كثيرة هو

إذا حفر الإنسان أو حرت في الفدان وجدها تخرج
من الأرض . إذا سحق ووضع على العصب
المقطوع نفعته . والخفاش قال : هو الوطواط وسمى
خفاشاً لصغر عينيه وامتناع بصره في النهار ورؤيته
بالليل - كما تكلم عن الخنفساء ومنافعها واستعمالاتها
في الدواء وكذا الخنزير والدب والدج والدراج
والدلفين والذئب والرخمة والرعاد وهو الحيوان البحري
الذي يحدث الخدر . يقول ابن البيطار وقد ذكر قوم
أنه إذا أدنى من رأس من يشتكى الصداع ، سكن صداعه
وإذا أدنى من مقعدة من انقلبت مقعدته أصلحها ،
ولكن قد جربت أنا الأمرين جميعاً فلم أجده يفعلها
ولا واحداً منهما ، فكرت في أن أدنيه من رأس
صاحب الصداع والحيوان حتى بعد ، لأننى ظننت أنه
على هذه الحال يكون دواء يسكن الصداع بمنزلة
الأدوية الأخرى التي تحمد من الحمى فوجدته ينفع
ما دام حياً . ولعله تنبه إلى أن أثر التيار الكهربائى
الضعيف الذى يصدر عن الرعاد لا يكون إلا إذا كان
الكائن حياً ، ولهذا الملاحظة قيمتها .

وذكر أيضاً الروبيان (الجنبرى) بيد أنه قال هو
سمك بحرى يسميه أهل مصر الفرنس وأهل
الأندلس يعرفونه بالقمرن . والزرافة والزمج
والسقمور والسلحفاة والسلوى والسمانى والسمك
وسميكة صيدا والسمور والسنجاب والسنور والسيبيا
والشبوط قال وهو ضرب من الحوت ، والشحورور
« وشغنين بحرى » وهى دابة بحرية شكلها شكل
الخفاش و « شنج » وهو الحلزون البحرى الكبير
المقرن الجوانب وهو نوع من الحلزون عظيم غليظ
الومط مستدير الطرفين « وشودانيق » طائر معروف
والصقر والضأن والضبع والصفدع والطاووس
والطيرج وهو طائر والعضافير والعظاية والعقرب
والعقاب ، والعققي والعلق يقول وتقوم مقام الحجامة
والعكבות والفار والفاخته والفنك والقجج وهو

وبرادته وخبثه وزنجاره ، وماؤه وشرابه اللذان يطفئا
فيهما وهو محمى .

ويقول فى الذهب نقلا عن ابن سينا ، إنه معتدل
لطيف سمائه تدخل فى أدوية السوداء ، وأفضل الكى
وأسرعه برأ ما كان يكوى من ذهب ، وامسأكه
فى الفم يزيل البخر وتدخل سمائه فى أدوية داء الثعلب
وداء الحية طلاء وفى مشروباته ، ويقوى العين كحلا .

كما تحدث ابن البيطار عن الرخام والرصاص
والزرنيسخ والزمرد والزنجار والزئبق والسنباذج
والسنجفر وهو الزنجفر والشاذنج أو حجر الدم والشب
والشبهان وهو النحاس الأصفر والطلق .

ثم ذكر العقيق والفضة والكبريت .

وتحدث عن الأكحال فهذا كحل السودان
وكحل فارس .

كما ذكر اللازورد واللؤلؤ .

وأورد من الأحجار مرهيطس ومرطيس ومرداسنج
ومرقشيا والمرمر والمغنيسيا والمغناتيلس والمها والنطرون
ثم تكلم عن النحاس والياقوت .

كذلك تكلم ابن البيطار عن كثير من الأدهان
فذكر دهن الأيرسا ودهن الزعفران ودهن الحناء
ودهن القيصوم ودهن الرجس ، ودهن الورد ،
ودهن البابونج ، ودهن السفرجل . كما تكلم عن
الأطيان (جمع طين) فذكر طين أرمنى وطين
نيسابورى ، وطين حر ، وطين كرمى ، وطين
جزيرة المصطكى ، وطين نيموليا وغيرها ، ولكل
فوائده ، ولكل استعماله الخاص .

مناهجه فى البحث

لقد اتبع ابن البيطار نفس المنهج الذى تبعه غيره
فى هذه الصناعة ، إنه نفس النهج الذى ارتضاه
ابن سينا ، وداود ، ونفس الترتيب الأبجدى الذى

فضلوه على غيره من طرائق الترتيب ، وأنه ليدام
الاستشهاد بأقوال أئمة الصناعة من أمثال ابن سينا ،
وجالينوس ، وأبقراط ، ودبسقوريدوس وغيرهم .
ولعله شايعهم كذلك فيما تأثروا به من معتقدات
وما قالوه من وصفات وما آمنوا به من ألوان العلاج ،
فهو فى ذلك مقلد أكثر منه مبتكر ، ولا أكاد أثبت
تفرده فى طريقة أو تميزه بمناهج . وليس معنى ذلك
أن نجحد فضله فيما أورد من معلومات عظيمة النفع
كبيرة القيمة .

ما لا يتفق والدوق العام والطب الحديث

ولم يسلم ابن البيطار ، من إيراد كثير مما لا يتفق
والدوق العام كقوله : إن زيل التمساح يزيل بياض
العين ، وإذا علق قلب الحبارى فى خرقة على من
يكثّر نومه منع عنه النوم ، وأنه إذا علق قلب الخرذون
على صاحب حمى الريح فى خرقة سوداء أبرأها
وأزأها ، وأن رماد الوطواط يحد البصر ، أو أن يعلق
نبات ما على العضو الذى يتألم فيسكن ألمه ، أو أن زيل
الذئب يسقى لمن كان به وجع الفولنج ، أو أن دم
هذا الحيوان إذا قطر فى الأذن سكن وجعها .

لقد حفل جامع ابن البيطار بكثير من أمثال
ما ذكرت ، مما لا أظنه جربه بنفسه ، ولعله شايع فيه
العامه ، وقد تنبه هو نفسه إلى ذلك فى بعض الأحيان
حين قال عن سمك الرعاد إنه يزيل الصداع ، فقال
إنه جربه بنفسه فلم ينفع وإنما تبين أثره حين كان
السمك حياً وحيداً لو ذكر لنا أنه جرب كثيراً مما
أورد ليثبت لنا نفعه من عدمه .

ومع ذلك فلا أظن الدوق العام أو الطب الحديث

يسبغ الكثير من أمثال ما ذكرت ، ولا أظنه مما يسيغه
الرأى العام المثقف أن يلجأ إلى هذه الوصفات ،
ويترك العلاج بالدرة والمضادات الحيوية والأشعة

وما أشبه من مستحدثات العلم في العصر الحديث ،
فضلاً عن الأمصال والحقن والجراحات ذات الفيتامينات
والهرمونات مما يكون له تأثير مباشر في علاج هذا
المرض أو ذاك .

خاتمة

وبعد . فلا مرأى في أن مفردات ابن البيطار
تغلب فيها المادة الطبية ، التي أجهد نفسه في جمعها
وترتيبها وتبويبها ، فهو في كتابه هذا طيب أكثر منه
عالم . ولا شك أن الكتاب يحوى كثيراً من المعلومات
المفيدة ، تحتاج إلى متخصصين يعنون بتحقيقها ،
وتعريف الناس بها ، ولعل بعضها أن يفيد فيما يزال

مستعصياً على الطب الحديث والعلم الحديث ، أو لعله
يثبت أن الطريقة القديمة ليست شرّاً كلها كما يعتقد
البعض ، وأن فيها بعض الخير ، إذا أحسن استعمالها ،
وليس معنى هذا أننا ندعو إلى العود إلى الطب القديم
في عصر الذرة ، ولكن الذي وقر في ذهني أن في هذا
القديم كثيراً من الخير ، أو على الأقل بعض الخير
يمكن لذوى الخبرة والاختصاص أن يستخلصوه ،
وأن يجلووه على الناس مبرأ مما علق به من خزعبلات
أو أوهام .

وعندى أن ابن البيطار قد تميز في مفرداته بسلامة
العرض وأمانة النقل ، مما يجعله بحق من أئمة أهل الصناعة
في زمانه .

